LTESS 22
The 5th International Conference
on Languages, Translation , Education, & Social Sciences

SchWlar
Scholar Worldwide

كتاب وقائع

المؤتمر الدولي الخامس للغات والترجمة والعلوم الاجتماعية والتربوية

(LTESS-22)

٢٩-٣٠ نوفمبر - تشرين الثاني
٢٠٢٢م
تركيا - أنطاليا

المنظمون:

Faculty of Education, Akdeniz University
Antalya - Turkey)
Scholar Worldwide (SCHWLAR)

مرامي ومظاهر التجديد في بناء هرم الملك تهارقا

د. شعيب، الأمين عثمان
جامعة دنقلا – السودان

مقدمة:

يعد هرم الملك الكوشي تهارقا – أحد ملوك الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت السودان ومصر – من أعظم الأبنية الدينية الجنائزية في بلاد كوش قاطبة، فهو أكبرها على الإطلاق من حيث المساحة، ومتفرد في تخطيط غرف دفنه عن بقية المدافن حجما وشكلا.

مشكلة البحث:

تنبع مشكلة البحث في اختيار الملك تهارقا لجبانة نوري وبناء هرمه بها وسار على ذات النهج الملوك التالين له، تاركا جبانة الكرو التي اتخذها أسلافه مقرا أبديا لهم.

أسئلة البحث:

تجيب هذه الورقة عن الأسئلة التالية:

1. لماذا اختار الملك تهارقا جبانة نوري لتكون مقرا أبديا له؟
2. مغزى حجم هرمه وارتباطه الوثيق بالمعبد المركزي بجبل البركل (B 500).
3. طرز المعمار في البناء التحتي (غرف الدفن) من حيث الحجم والشكل وتفسيراتها.

أهداف البحث:

بناء على ما تقدم تشكلت مجموعة من الغايات والأهداف التي يمكن أن تسهم في تشييد الملك تهارقا – عظيم كوش – العديد من المباني الدينية التعبدية في السودان ومصر إضافة لترميميه لما كان آيل للسقوط.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في أنها تلقي الضوء على فترة حكم الملك تهارقا خصوصا حول دراسة مدفنه الكائن بجبانة نوري الكوشية الملكية المعروف باسم (Nu. 1).

منهج البحث:

ولتحقيق ذلك والوصول إلى النتائج اتبع الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي لمعرفة ذلك التطور في مدفن الملك تهارقا ومقارنته مع من سبقه ومن أتى بعده من الملوك.

موقع جبانة نورى:

إذا تـ سنى للمرء الوقوف على قمة جبل البركل بإمكانه أن يرى أهرامات نورى تبدو على حافة الصحراء خلف الأشجار وجريد النخيل الذى يصطف على الضفة اليسرى للنيل، والنهر فى هذا المكان يجرى نحو الجنوب الغربى، درج الأهالى فى تلك المنطقة على استخدام اتجاهات (فوق و تحت قبلى وبحرى) بدلاً عن الاتجاهات الجغرافية المتعارف عليها(Reisner, 1918a, 68). وعليه يمكننا استخدام الضفة اليمنى والضفة اليسرى للنيل من منبعه إلى مصبه، لأن النيل يجري بصورة معكوسة في منطقة نوري، أي يجري من الشمال إلى الجنوب.

تقع نورى على بعد عشرة كيلومترات إلى الشرق والشمال الشرقى من جبل البركل على الضفة اليسرى للنيل (Reisner, 1918a, 68-69). كانت نورى قرية صغيرة تحفها حقول القمح والذرة والذرة الشامى والشعير والدخن، وبها الكثير من أشجار النخيل والدوم والسنط. تقف على حافة الصحراء وراء القرية أهرامات عديدة وسط التلال المنخفضة التى تأخذ شكل حدوة الحصان، في منطقة مكشوفة ومغمورة بالرمال التي حملتها الرياح حتى غمرت جل الأهرامات(Reisner, 1918a, 69).

تكونت بجانب نورى شبه جزيرة خلال الفيضانات. أما وراء الوادى إلى الجنوب من الأهرامات فكانت المساحة خالية تشغلها الرمال، أما الحطام الناجم عن تدمير الأهرامات وبقايا موقع يرجع للفترة المسيحية بجانب الأهرام وجدت مغطاة بالكثبان الرملية. من هذا الوصف العام يمكن القول إن المكان يصلح استخدامه جبانة(Reisner, 1918b, 1).

تقع نورى على بعد حوالى 13 كلم أعلى النيل من صنم أبودوم فى ذات الضفة اليسرى، وعلى بعد حوالى 26 كلم أعلى النيل من الكرو، وتقف أهرامات جبانة نورى فى الناحية الشمالية الغربية من القرية على بعد حوالى 2 كلم. بنيت الجبانة فوق منطقتين مرتفعتين نسبياً عن مستوى سطح الأرض توازى إحداهما الأخرى، وهى تمثل الجبانة الملكية الثانية بعد جانب الكرو، دفن فيها كثير من ملوك وملكات مملكة كوش الثانية. وتقف أهرامات نورى فى مجموعة متقاربة تحيط بها الكثبان الرملية وتتخذ من توزيعها هيئة حدوة الحصان، ويبدو أكبر الأهرامات على الإطلاق فى الجبانة ظاهراً للعيان وتحيط به من الشمال والشرق والجنوب عدد من الأهرامات أقل حجماً ويبلغ عددها أربعة عشر هرماً كبيراً وأكثر من خمسة وعشرين هرماً صغيرا(الحسن، أحمد محمد الحسن، 2007، 139)، (انظر الخريطة رقم 1).

بعد أن كاد المكان يمتلئ فى جبانة الكرو بأهرامات الملوك والملكات الذين سبقوا تهارقا وقع الاختيار على منطقة نورى التى توجد إلى الشمال من الكرو على الضفة الأخرى للنيل، كى تكون مقراً أبدياً لتهارقا وخلفائه، وفيها بنى ذلك الملك أكبر هرم فى بلاد كوش(بكر، محمد إبراهيم، 1998، 125). إن إنشاء جبانة جديدة فى نورى بدلاً عن جبانة الأجداد فى الكرو لهو من الأمور التى تميز بها هذا الملك الذى أراد بناء هرم كبير يليق بمقامه، فهرمه في نورى (Nu.1) هو ليس فقط أكبر الأهرامات الموجودة فى هذه الجبانة حيث يرتفع لحوالى 60 متراً بل فى كل أصقاع بلاد كوش، وقد أشار العلماء إلى خطته المعمارية وبخاصة فى تخطيط غرف الدفن التى تعكس رغبته فى التفرد(دفع الله، سامية، 2005، 78-79). وبذلك يعتبر مؤسساً لهذه الجبانة. فى الواقع هناك خلاف حول دفنه في هذا الهرم، خاصة وأنه عثر على هرم صغير فى صادنقا ورد فيه اسم لهذا الملك(Dunham, 1955, 13). أما آخر ملك دفن فى جبانة نورى فهو نستاسن (Nu.15) (335-315ق.م) وقد انتقل الدفن بعد ذلك إلى الجبانة الجنوبية في مروى(Reisner, 1923, 59).

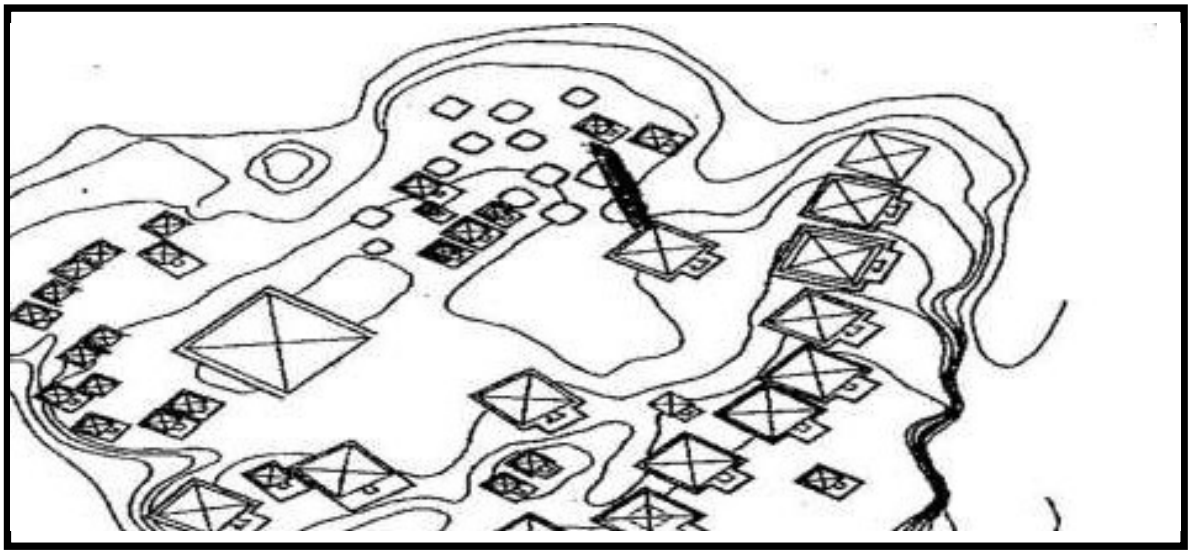

خارطة رقم (1) توضح توزيع أهرامات نورى (عن دانهام 1955م)

تشغل جبانة نورى مساحة لا تختلف كثيراً عن مساحة جبانة الكرو، فهى هضبة رملية تنبسط ممتدة من وراء أطراف السهل الفيضى، وتؤلف بذلك واحدة من صروح كوش التى تقع فى قلة متناهية على الضفة اليسرى للنيل. إن الافتراض القاضى بأن الملك تهارقا شيَّد هرمه هنا لأن جبانة الكرو كانت ممتلئة قد يحمل شيئاً من الحقيقة(Arkell, 1961, 117)، ولكن يفشل الافتراض بوضوح في وضع الاعتبار لعملية اختيار الأمكنة المحلية، فأماكن

أخرى كثيرة ربما كانت تؤدى نفس الغرض. يمكن القول فيما يقرب من اليقين أن تهارقا كان يقلد ممار سات فراعنة م صر الأوائل، فالأهرامات الملكية العظمى فى م صر العليا والـ سفلى بُنيت على هامش الـ صحراء الغربية، فى المقابل بُنيت المعابد العظيمة فى الكرنك وممفيس على الـ ضفة اليمنى، وفى مواجهة جبل البركل تقف نوري تماماً على نفس النهج(آدمز، وليام، 2005، 267).

يعد هرم الملك تهارقا أكبر مدفن ملكى فى كوش يبلغ ضلع قاعدته 95 قدماً وينتصب بالقرب من مركز الجبانة، فى حين شيِّدت أهرامات الملوك اللاحقين فى صفين على الاتجاه الجنوبى الشرقى منه. أما بالقرب من الجانب المقابل لهرم تهارقا فتحتشد أهرامات الملكات متضائلة فى الصغر للغاية(آدمز، وليام، 2005م، 268).

شيدت الأهرامات على أرض صخرية مرتفعة على هـ ضبتين متوازيتين يفصل بينها منخفض، وعلى الهضبة الغربية شُيِّد هرم تهارقا، ونظِّمت الجبانة بحيث أن النساء الملكيات دُفنَّ فى الهـ ضبة الغربية، بينما قامت أهرامات الملوك على الهـ ضبة الـ شرقية(حاج الزاكي، عمر، 2006، 96).

استخدمت جبانة نورى على مدى ثلاثة قرون ونـ صف من (664 -315ق.م) أى حتى بعد أن نُقلت العاصمة إلى مروى(كاتسنلسون، أسيدور، 2003، 5). تبنى الجيل السابع من العائلة المالكة نورى كجبانة لملوكهم، وكان تانوت أمنى- الذى يمثل الجيل الـ سادس – آثر أن يدفن بالقرب من أسلافه فى الكرو. واستمرت هي الجبانة الملكية الوحيدة حتى عهد الملك نستاسن(335-315ق.م)(Dunham, Macadam, 1949, 142). حيث تم نقل الدفن إلى جبانة البجراوية الجنوبية.

قام رايزنر بعمل حفائر فى منطقة أهرامات نورى، وكـ شف عن محتويات عدد عظيم منها، وحقق معظم أسماء أصحابها، غير أنه ومما يؤسف له أن معظم الأهرام كانت قد نهبت، كما أن بعـ ضها نظِّف تماماً على يد اللـ صوص، فلم يتركوا فيها شيئاً قط، هذا إلى جانب أن المقصورات الجنائزية التابعة لهذه الأهرام قد انتزعت أحجارها من أماكنها ووجدت ملقاة على الأرض، أو مـ ستعملة فى مبانى حديثة نسبياً. تمكن رايزنر من معرفة أصحاب الأهرامات بواسطة الآثار التى عليها أسماءهم ووجدت داخل حجرات الدفن، خاصة الأحجار ثقيلة الوزن التي لم يكن حملها سهلاً إلى أماكن بعيدة عن مكانها الأصلي(حسن، سليم، 1956، 265).

السمات الطبوغرافية للمجال الهرمى فى نورى مهمة جداً للدراسة، حيث الأرض مرتفعة تقع في شكل حدوة الحصان، في أرض وعرة حول الحوض وتتجه نحو الجنوب، أحد أذرع

حدوة الحصان بالقرب من النهر تمثل خط التقاطع الرئيس، فالمنطقة المرتفعة تبدأ قمتها من آخر الجانب الشرقي للسلسلة الرئيسة وترتفع من الشمال(Reisner, 1918b, 3-4). أما في الجزء الجنوبي تنحدر الأرض على مستوى 900 سم فقط ما وراء آخر هرم، فالانحدار بهذا المستوى كان نتيجة للتعرية التي ألمت بالطبقات الرملية، توجد في المنتصف خيران تجري نحو الغرب على طول الجانب الشرقي لحوض النهر بالقرب من السلسلة الرئيسة(Reisner, 1918b, 5).

تنتشر أهرامات نوري على هيئة مجموعتين متوازيتين، (انظر الصورة رقم1). ربما يبلغ طول أحد أضلاع أهرامات الملوك 28 متراً، أما ارتفاعها فيتراوح بين 20 إلى 40 متراً فيما خلا مدفن الملك تهارقا. ويبدو جلياً أن خلفاء تهارقا رضوا بأن يكون هرمه بضعف حجم هرم أي منهم. أما أهرامات الملكات فكان طول أحد جوانبها 9 أمتار – لكن في نهاية العصر – صار طول أهرامات الملكات الرئيسات يصل إلى 17 متراً، وهذا يدل على ازدياد أهميتهن السياسية. درج الكوشيون على بناء مقصورة في الجوانب الشرقية للأهرامات مدخلها قبالة مشرق الشمس، كانت توضع فيها القرابين لصاحب القبر، مثل الأطعمة والمشروبات(كندال، تيموثي، د.ت، 39).

صورة رقم (1) صورة جوية لجبانة نوري – عن كندال 2006م

إن الضفة اليسرى للنيل التي بني فيها هرم تهارقا بمثابة الضفة الغربية للنيل في مصر وهي جهة مغرب الشمس حيث يرتبط ذلك بالموت في عقائد قدماء المصريين، ونظراً للحلقة

الكبرى التي يشكلها النيل كرمز للحياة في مصر ، فإن جبانة نورى توجد في هذه المنطقة أي في اتجاه الشرق الذي يعني جهة مشرق الشمس وارتباط ذلك بأسطورة تجدد الحياة. أما إذا نظرنا من نورى فإن الشمس تهبط على جبل البركل لحظة تعامدها على المدار الصيفي (السرطان) وعندها يأخذ مستوى مياه النيل كل سنة في التصاعد كيما يغمر الشطئان بالفيضان، كان هذا التراصف الكوني يوجد مجموعة من العلاقات ذات الدلالات لا بدَّ أن يؤدى فيها الموت والظلمات والهزيمة إلى توليد الحياة والنور والنصر والاستقرار، سواء بالنسبة للملك المتوفى أو بالنسبة لأسرته(كندال، تيموثي، 1998، 63).

قام عالم الآثار الأمريكي جورج أندرو رايزنر وبمساعدة دوس دنهام بالحفر في جبانة نورى في 26 أكتوبر 1916م وبدأ العمل بتنظيف الناحية الجنوبية الشرقية في الهرم الكبير، وقد أعطاه رايزنر الرقم (Nu.1). كان الرديم كثيفاً يتكون من الرمال وكسارة الحجارة الساقطة من جسم الهرم، (انظر الصورة رقم 2). تمت نظافة الرديم، وكانت مقصورة الهرم في حالة سيئة من الحفظ، وتمَّ الوصول إلى بداية الدرج الهابط الذي يؤدى إلى غرف الدفن أسفل الهرم، وبدأ الحفر فيه، حيث عثر في رديم هذا الدرج على كسارة من الحجر عليها نقش يحمل اسم الملك تهارقا، ومنذ تلك اللَّحظة عرف هذا الهرم أنه هرم أحد ملوك الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت مصر والسودان، وكانت أعمال نظافة الدرج الهابط في غاية الصعوبة نسبة للخطورة التي سببتها عوامل الطبيعة(Reisner, 1918a, 70).

صورة رقم (2) هرم تهارقا على أيام رايزنر (عن رايزنر 1918)

لماذا وقع اختيار الملك تهارقا على نورى لبناء هرمه؟

يعتقد رايزنر أن الملك تهارقا لم يكن من الخط المباشر للأسرة الملكية الحاكمة. بينما يرى دنهام أن ضيق المساحة فى الكرو لم يمكنه من تشييد هرم كبير يليق به. ويرى توروك أن المسافة بين الكرو وجبل البركل ، تقارب المسافة بين صنم أبو دوم ونوري(Kendall. T, 2006, 1).

توصل كندال فى هذا الصدد إلى نتيجة نلخصها فى الآتى: نقش الملك تهارقا عند قمة النتوء بجبل البركل نصوصاً فى مكان لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن قراءتها من على سطح الأرض، ولكن يمكن مشاهدتها، وبما أن النصوص قد كتبت لعيون الآلهة فقط، فإن رقائق الذهب ستجعل النصوص أكثر المناطق اللافتة للنظر فى الجبل، وتتجه ناحية الغرب بزاوية 160° بما يجعل رقائق الذهب تعكس أشعة الشمس لمناطق مختلفة فى أوقات مختلفة من اليوم والسنة، ويمكن مشاهدتها من الضفة الأخرى للنيل. قد ظل هذا الجزء شبه المنفصل فى وقت معيَّن من أيام السنة يشير مباشرة إلى موقع جبانة نورى وتحديداً إلى قمة هرم الملك تهارقا، وهذا ما جعل كندال يفترض أن اختيار الملك تهارقا لجبانة نورى مكاناً لدفنه كان استناداً على العلاقات المكانية والزمنية بين جبل البركل ونورى خلال فصول السنة، جدير بالذكر أن الملوك الذين دوِّنت أسماؤهم فى قمة الجزء شبه المنفصل عن جبل البركل هما الملك تهارقا أول من دفن في نوري، والملك نستا سن آخر من دفن بها(Kendall, 2006, 5-6).

أخذ الملك تهارقا فى تقليد تراث المملكة المصرية الحديثة، فمثلاً نجد أن الجبانات الملكية الكبيرة فى مصر العليا والسفلى تتموضع على حواف الصحراء الغربية مواجهة للمعابد الكبيرة فى الكرنك وممفيس، وكذلك كان لجبانة نورى موقعاً مشابهاً، فهى تقف مواجهة لجبل البركل تقريباً(آدمز، وليام، 2005، 267). كان المصريون يختارون لجباناتهم روابى الغرب حيث تختفى الشمس بعد الأصيل، وكانوا يظنون أن الآلهة تسكن الشرق حيث ينبعث النور يومياً، فى مقابل ذلك يمثل الغرب المقبرة التى يدفن فيها الخالق والمخلوق(عبد الغنى، عبد العزيز، 1971، 30)، أى أنها بلد ختنتى أمنتى إله الموتى، وهو لقب الإله أوزوريس ويعنى "المقدم على الذين بالغرب". وكذلك فعل الملك تهارقا في اختياره لنوري كي تكون مقراً أبدياً له ولمن بعده من الملوك الكوشيين.

عن علي أحمد قسم السيد، مقابلة شخصية بتاريخ 2011/6/30م

تم نهب كافة المدافن من قبل اللصوص بشكل كثيف، تعرض بعضها للسرقة. فقد وجدت بعض الحجارة التي استخدمت لغلق مداخل الغرف ملقاة إثر تحطيم الجداران على يد اللصوص عند حفرهم الأهرامات، وفي أثناء عملية النهب كانوا يقومون بحمل بعض المقتنيات الصغيرة من قبر إلى آخر، أو تركها على السطح فتبعثرت، وبعض المصنوعات التي في شكل رقائق ذهبية أخذت للسطح من أجل فحصها، وعندما انتهى البحث عن الذهب قام اللصوص في بعض الأحيان بوضع الأشياء التي لا قيمة لها في نظرهم داخل الحفرة(Reisner, 1918b, 9).

مظهر ومرامي التجديد في بناء هرم الملك تهارقا:

يعود التجديد في جبانة نوري إلى أن الملك تهارقا مؤسس الجبانة قد أدخل ابتكارات عديدة على مدفنه، فدنهام يعتقد أن عدم وجود مساحة كافية في الكرو ليس السبب وراء هذا التحول؛ لأن الملك تهارقا بنى في بادئ الأمر هرماً صغيراً ثم عمل على زيادته وحوله إلى هرم مدرج فيما بعد(Dunham. D, 1955, 7) ، أي أن فكرة زيادة الحجم جاءت متأخرة، هذا إذا وضعنا في الاعتبار أنه دفن في الهرم الذي بناه في نوري (Nu.1). أما الهرم الثاني المنسوب له (W.T.1) والمكتشف في صادنقا – والذي يرى بعض المؤرخين أنه دفن فيه – فقد كان صغيراً نسبياً، إذ بلغت مساحته 9.80م^2(Giorgini. Schiff, 1965, 129)أي 32 قدماً، وتقف بقاياه على ارتفاع 1.70م^2 – أي خمسة أقدام(آدمز، وليام، 2005، 268).

تبلغ مساحة هرم الملك تهارقا (Nu.1) حوالي 52 متراً مربعاً في القاعدة، وتبلغ درجة ميلانة 69° مما يعني أن جملة ارتفاعه تبلغ 63 متراً، وهذا الهرم مبني من الحجر الرملي الأحمر، وتحته هرم آخر صغير بني من الحجر الرملي الأبيض يبدو كأنه كوم من الرديم، عثر عليه رايزنر بعد نظافة سطح الهرم الخارجي، وبمعرفة زاوية ميلانه حسب أن قاعدته تبلغ 28.5 متراً مربعاً، بينما بلغ ارتفاعه حوالي 28 متراً. وبناءً على عدم عثوره على مقصورة قرابين أو ودائع أساس للهرم الخارجي، وعلى ملاحظته أن الدرج الهابط في الجانب الجنوبي الشرقي للهرم، والذي يؤدي إلى غرفة الدفن يخطئ مركز الهرم بثلاثة أمتار. قرر رايزنر أن هرم الملك تهارقا (الخارجي) هو إضافة لاحقة تغطي الهرم الأصلي الصغير (الداخلي) (Reisner, 1918a, 68)، (انظر الصورة رقم 3).

صورة رقم (3) تبين هرم الملك تهارقا الصغير، عن كندال: 2006

تعتبر هذه المقبرة الأولى فى سلسلة الأهرامات الكوشية التى بنيت مدرجة، وهنالك سلم يهبط من سطح الأرض متدرجاً من الناحية الشرقية وينتهي إلى غرفتي الدفن، ويتألف من إحدى وخمسين درجة(Dunham. D, 1955, 7).

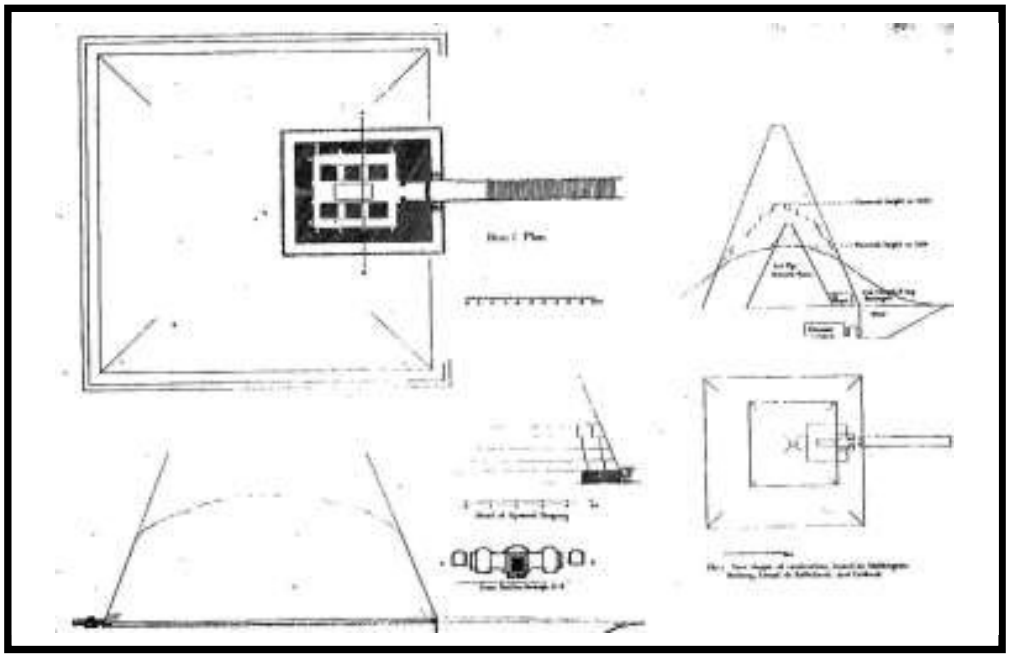

لم يدفن الملك تهارقا (690-664ق.م) بالكرو إذ انتقل بالدفن إلى نوري – التي تعتبر الجبانة الملكية الثانية – وشاد هرمه (Nu.1) بها وانتهى الدفن بقبر الملك نستاسن (335-315ق.م)(Dunham. D. 1955, 49). فبنى الملك تهارقا هرمه مستعملا نفس خرطة البناء في هرم سلفه شبتاكا بجبانة الكرو، أنهى الملك شبتاكا النفق إلى حيز مسطح يقود إلى غرفة الدفن، أما تهارقا فقد زاد مساحة الحيز المسطح وجعل له بابا من ناحية السلم فصار بذلك غرفة قبل غرفة الدفن أو ثمة دهليز يقود إليها(قسم السيد، على أحمد، 1982، 67-68).

يمثل هرم الملك تهارقا حلقة وصل في تطور البناء الداخلي، حيث أخذ التخطيط العام للهرم التقليد المحلي المتبع في المدافن السابقة، أي بنيته التحتية تشابه المدفنين (Ku.15) و (Ku.18)، لكنه يتفوق عليهما في الحجم وجودة البناء، وينتهي الدرج المكون من واحد وخمسين درجة بمنصة يبلغ طولها ستة أمتار، تقع أمام مدخل الغرفة الأولى(Dunham. D. 1955; 8-9).

يحتوي البناء التحتي لمقبرة الملك تهارقا على غرفتين للدفن، تبلغ أبعاد الأولى – والتي تبدو أصغر حجماً من الثانية – حوالى (3.30×3.10) متراً، وهي تقود عبر مدخل آخر من جهة الغرب إلى الغرفة الثانية "الرئيسة" التي تبلغ أبعادها (13.30×12.60) متراً، وهي الأكثر تطوراً، (انظر الشكل رقم 2). توجد بهذه الغرفة ستة من الأعمدة المقطوعة على الصخر تقسم الغرفة إلى ثلاثة أقسام، وتوجد في منتصف الغرفة – أي بين صفي الأعمدة – حفرة مستطيلة أبعادها (5.90×2.45) متراً يرجح دنهام أنها مكان التابوت الذي ربما كان مصنوعاً من الخشب، خاصة أنه لم يوجد له أثر، وتلاحظ بعض النقوش الهيروغليفية الخفيفة على جدران هذه الغرفة، مما يؤكد أنها كانت مزينة بالنصوص الجنائزية(Dunham. D, 1955, 7). قد اختفت من المدافن الملكية الدكة الحجرية ذات الثقوب الأربعة المعدة لاستقبال أرجل السرير منذ عهد الملك تهارقا، مما يشير إلى أن الدفن على السرير قد استبدل بالدفن في تابوت حجري كان غالباً ما يوضع على دكة من حجر الجرانيت بدون ثقوب(قسم السيد، علي أحمد، 2005، 68).

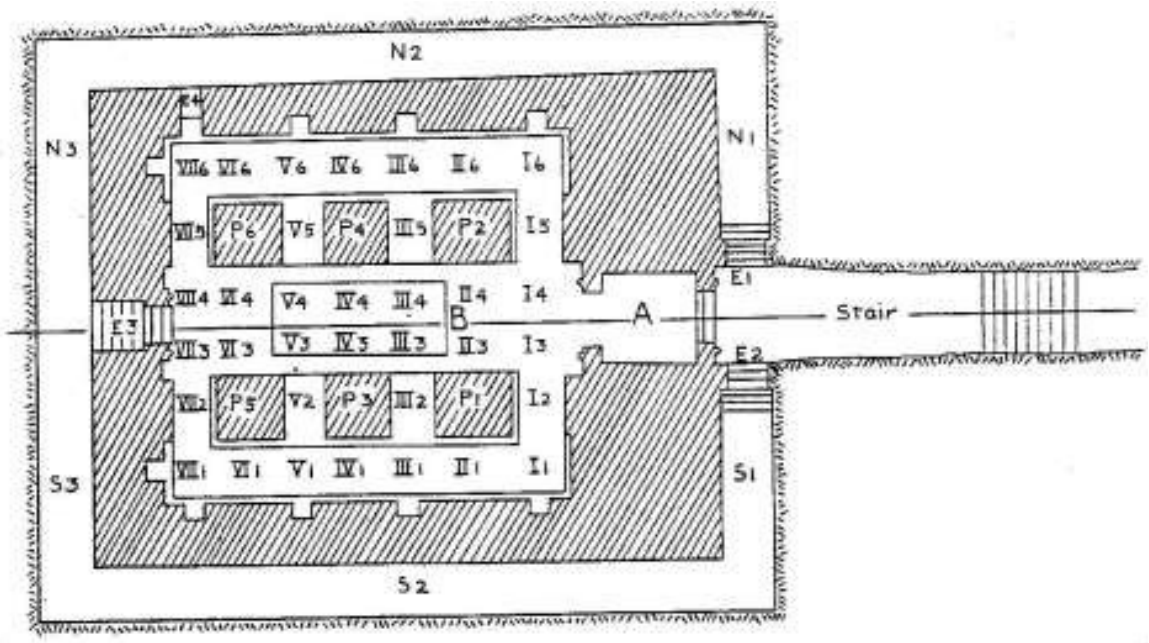

شكل رقم (2) يبين البناء التحتي لمدفن الملك تهارقا ، (عن دانهام 1955م)

نبذ أفراد الأسرة المالكة تقليد الدفن على العنقريب واختفى نهائياً(Dunham. D, 1947, 7) هذا إذا استثنينا القبر (Nu.35) الذى ربما كان مقبرة الملكة آبار والدة الملك تهارقا، والتي وجدت فيها صناديق من المرمر توضع عليها أرجل عنقريب الدفن(Dunham. D, 1955, 18).

السمات العامة للمدافن بجبانة نورى الملكية:

بُنى هرم الملك تهارقا بنورى بنوعين من الصخور الرملية استخدم أفضلها ككساء خارجي، بينما استعملت الصخور الأقل جودة فى تكوين قلب الهرم "الحشو"، وقد اختفى الغطاء الخارجى للأهرامات الآن تماماً ولم تبق إلا الصخور التى تكون قلب الهرم(قاسم السيد، على أحمد، 1982، 60). وأصبح هرم الملك تهارقا عبارة عن كتل صماء من بلوكات مشذَّبة من الحجر الرملى وحشوات من كسارة الحجارة والحصى(دفع الله، سامية بشير، 2005، 171). فالهرم فى حد ذاته مبنى حجرى ليس به أى حجرات أو ممرات، تلحق به مقصورة جنائزية من جهة الشرق، نقشت على المقصورة صورة وألقاب الملك تهارقا، وهذا ما مكن العلماء من التعرف عليه أثناء الحفريات(بكر، محمد إبراهيم، 1968، 78).

السور الذى يحيط بالبناء العلوى فى هرم تهارقا بنورى عبارة عن مبنى من الحجر مستطيل الشكل فيه زوايا تجعل المساحة الأمامية أ ضيق من الشكل الخارجي للمقبرة(Dunham. D, 1955, 9).

تتو سط المقصورة أو المعبد الجنائزى الجدار الشر قى للهر م وتلتصق به، وتحتوى على غر فة واحدة بابها فى الجهة الشر قية، وفيها كوة أعلى الباب. أما عن الأشياء التى كانت تو ضع فى هذه المق صورات فتألفت من مائدة قربان مرتكزة على عمود ق صير مو ضوع فى و سط الغرفة(حسن، سليم، 1956، 266). تو ضع اللوحات الجنائزية فى الأ صل خارج القبر شر ق البناء الفوقى أو داخل المقصورات الجنائزية. وانتشر استخدامها فى المدافن الكوشية بدءاً بجبانة نورى، حيث وجدت فى مدافن عدد من الملوك والملكات(آدمز ، وليام، 2005، 265). كانت اللوحات تزين بالنقوش وتجهز بطاولات العطايا والمسلات (قسم السيد، على أحمد، 1982، 62).

يتكون البناء التحتى للمدافن الملكية فى جبانة نورى من سلم يؤدى إلى الغر ف الداخلية، وهذه الغر ف تختلف من حيث الحجم والعدد على ح سب التطور فى الفترات اللاحقة، وهى عادة ما تكون مقطوعة فى الصخر ، وتتكون إما من غر فتين أو ثلاث فى مقابر الملوك، بينما توجد غرفتان فى مقابر الملكات. خ صصت الغرفة الأخيرة فى كل الأهرامات للدفن، ويو ضع فيها الجثمان على مسطبة مرتفعة بعض الشيء، خاصة فى مقابر الملوك. وقد قطعت تلك المساطب من الصخر فى منت صف غر فة الدفن، أما الغر فة الأولى فمدخلها مت صل بالسلم، بينما تت صل الغرفة الثانية بممر مع الغرفتين الأولى والثالثة(Dunham. D, 1955, 128).

قطعت الغر ف التى و ضع فيها الجثمان مباشر ة تحت الهر م، فى حين أن الغر ف الجنائز ية الأخرى والدهليز المؤدى إليها تمتد شر قاً من الهرم، لذا كان الو صول إلى هذه الغر ف يتم عن طريق سلسلة من السلالم تنحدر من الشر ق. بعد الفراغ من نحت القبر الملكى يُسد الطر يق الذي يؤدي إلى المدخل بين الس سلم والدهليز المؤدي لمكان الجثمان بالتراب(آدمز، وليام، 2005، 265).

شهد البناء الس سفلى فى أهر امات نورى تطوراً فى المحتوى والحجم عبر مر حلتين، فقد زاد عدد الغر ف من اثنتين إلى ثلاث، وأدى هذا إلى زيادة م ساحة المدفن التحتية، فتمثلت المرحلة الأولى فى قبر الملك تهارقا (Nu.1) وهرم الملك اتلانير سا (Nu.20)(Dunham. D., 1955, p. 8-10).

المدفن (W.T.1) في صادنقا:

تبلغ قاعدة الهرم (W.T.1) المنسوب للملك تهارقا في صادنقا 9.50 متراً مربعاً. وقد بُني من حجر الشيست ذي اللون الأسود وحُشي بالخرصانة وطليت واجهته باللون الأحمر. كان الجزء المتبقي من الهرم وقت الاكتشاف يرتفع لـ1.7 متراً. وله سور من الحجر الأسود يحيط بالهرم من ثلاثة جوانب، كما يوجد به فناء مستطيل ملتصق بالواجهة الشرقية تبلغ أبعاده 11×5 متراً، ويشتمل على مدخل في هيئة صرح من الحجر الرملي(Giorgini. Schiff. 1965, 129).

تتكون المقبرة التي تم قطعها بعناية في باطن الصخر من غرفة صغيرة في المقدمة أبعادها 2.30×2.33 متراً، ذات سقف مقبب مطلي باللون الأحمر، وإلى الغرب منها توجد غرفة الدفن، وهي أيضاً ذات سقف مقبب تبلغ أبعادها 2.25×3.25 متراً، وعثر في منتصف غرفة الدفن على المكان المخصص لوضع التابوت وهو مقطوع في الصخر، وتحوي أرضيته قطعاً من الحجر الأسود، أما ما تبقى من أرضية تلك الغرفة فكان مغطى بطبقة من الرمل المخلوط بالرديم، وفيها وجدت بعض رقائق الذهب والعظام المبعثرة، وفوق هذه الطبقة وجدت طبقة أخرى من الرمل ربما كانت من صنع الرياح التي دخلت عبر فتحة فتحها اللصوص فوق المدخل(Giorgini. Schiff. 1965, 130)، (انظر الشكل رقم 3).

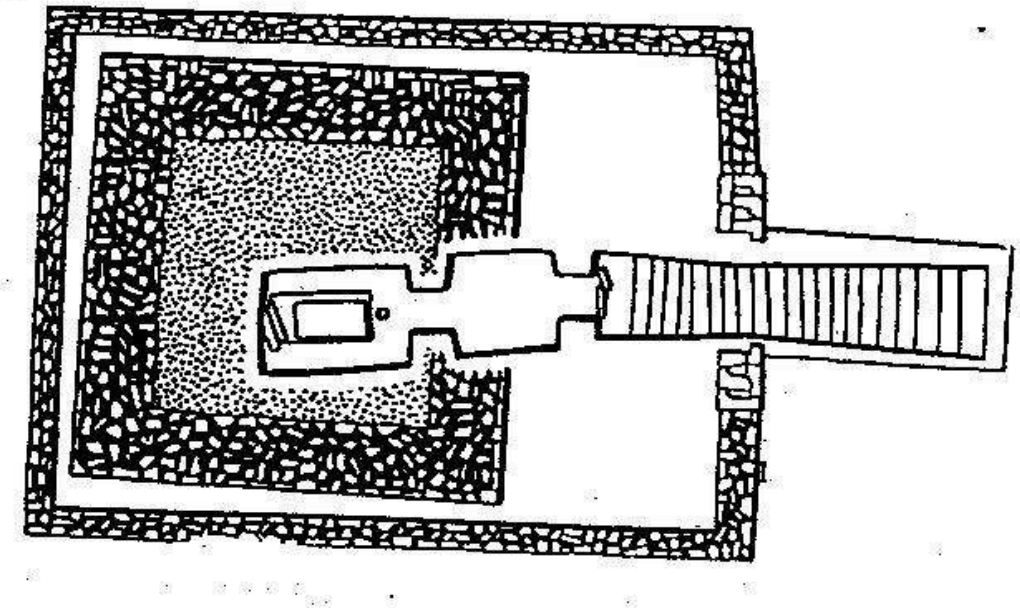

شكل رقم (3) يبين المدفن المنسوب للملك تهارقا بصادنقا
(عن حاكم 1988م)

تذكر ميـ شلا جورجينى أن العظام التى عثر عليها في القبر (W.T.1) تنتمى لهيكل عظمى واحد، وذكرت منذ الوهلة الأولى أن مقبرة نوري (Nu.1) تعتبر مدفناً تذكارياً لأوزوريس وليس مكاناً لدفن الملك تهارقا.

أما لكلان الذى كان مـ شاركاً فى تلك الحفريات فلم يقطع بأن القبر للملك تهارقا، وذهب للقول باحتمال كو نه مدفناً لذلك الملك، أو أن أحجاراً تحمل ا سم الملك تهار قا أعيد استخدامها فيه، وبذلك يصير قبراً لشخص خلاف تهارقا(Leclamt. J. 1984, 114).

ويؤكد آدمز أن الهرم (W.T.1) لا يليق بشخصية أكبر البناة فى السودان القديم، ويتناقض تناق ضاً صر يحاً مع هر مه فى نورى وكل صر وحه المعر وفة الأخر ى، أ ضف إلى ذلك أنه – أى قبر صادفنا – وا حد من مجمو عة صغيرة جداً من القبور يعود معظمها للفترة المر وية(آدمز ، وليام، 2005، 268-270).

يرى الحاكم أن هذا القبر (W.T.1) ربما كان لإحدى زوجات الملك تهارقا أو أحد أبنائه، تم دفنها أو دفنه بالقرب من مركز ديني رئيس هناك، وأنَّ اللو حات الحجر ية التي عثر عليها كانت تحمل تـ صوير الملك تهارقا قد أخذت من مبنى شيَّده الملك تهارقا في مكان قريب من المكان الذى شيد فيه القبر(Hakem. A.M.A, 1988, 282-283).

، يميل الباحث للقول للرأى القائل بأن الملك تهارقا دفن فى مقبرة نورى؛ لأن هرمه الكائن بها من أكبر الأهرامات فى البلاد، ويتميز بمعماره الجيد، إ ضافة لاحتـ شاده بعدد كبير من الأو شابتي يـ صل إلى حوالى الألف ونيف تمثال مجاوب، بالإ ضافة إلى الميزة التي تر بطه بالجزء المنفصل من جبل البركل الذي يحتضن عدداً من المعابد الدينية وأهمها على الإطلاق معبد البركل المركزى المعروف بـ (B-500) هذا إضافة إلى وجود آنية حفظ الأحشاء (الجرار الكانوبية) ويمثل كل ما سبق إشارات لوجود جسد محنَّط في ذلك الهرم.

العادات والتقاليد الجنائزية:

جرت العادة على تحنيط ملوك نبتة على الطريقة المصرية، حيث يتم لف أجسادهم وهم يمسكون بعصى من الذهب، وفوق الصدر يوضع عند القلب جعل "جعران" من الحجر الأخضر ومئذر "صدرية" من الذهب، أما أصابع الأيادي والأقدام فكانت تغطى بالذهب، في حين كان الوجه يغطى بقناع ذهبي، وكانت الأحشاء تنزع من الجسم لتوضع في جرار خاصة كبيرة " كانوبية". ويتم وضع المومياء الملكية في التابوت المنحوت عليه شكل الميت والمصنوع من الخشب المزين، مع وجود غطاء ذهبي مزين بأحجار ملونة على شكل صقور أو طيور تبدو أجنحتها وكأنها تغطي الجسم، وتوضع قطع برونزية مذهبة أو كلسية أو زجاج بركاني أسود على محاجر العيون. كان يتم وضع التابوت ضمن تابوت آخر أكبر منحوت

عليه شكل الميت مغطى برقائق من الذهب. هنالك حالتان وضع خلالهما التابوت في ضريح من الجرانيت المزين في جبانة نوري في قبري الملكين أنلاماني(Nu.6) وأسبلتو (Nu.8)(كندال، تيموثي، د.ت، 39-40).

يرتبط الأثاث الجنائزي ارتباطاً وثيقاً بالتقاليد الجنائزية، فهو أحد عناصرها الأساسية، وهو يعني مجموعة الأشياء المختلفة ذات الأغراض المتعددة، والتي توضع مع المتوفى في غرفة دفنه، ولعل الغرض من وضعها هو محاولة توفير احتياجات صاحب القبر وتحقيق أسباب الراحة والرفاهية والسعادة له في الحياة الأخرى. بالنظر إلى المدافن الملكية النبتية نجد أنها تعطي لمسة عن الثراء الذي تمتعت به المملكة على الرغم من أنه ما من حجرة من حجرات دفن الملوك إلا وتعرضت لنهب كثيف طوال الحقب السابقة من قبل لصوص القبور الباحثين عن الكنوز الملكية(عبد الجبار، نعمات عمر، 2002، 263).

الوشابتي:

انتشر وضع التماثيل الجنائزية "شوابتي" في جبانة نوري بدءا بمقبرة الملك تهارقا (Nu.1) مرورا بجميع مدافن الملوك حتى نستاسن (Nu.15). فلم يكن ذلك قاصرا على مدافن الملوك وحدهم بل اشتملت عليها مقابر الملكات كذلك، وكان معظم التماثيل الجنائزية مصنوعة من القاشاني.

وضعت الوشابتي في القبر لتخدم الميت عند الحاجة، وهي بمثابة نائبة عن الملك أو ممثلة له، لتؤدي الأعمال الشاقة كالحصاد وشق القنوات ... الخ. وفقا لاعتقاد قدماء المصريين فهي تمثل إسقاطا لعادة استدعاء الملوك رعيتهم كي يؤدوا عنهم كثيرا من الأعمال في الحياة الدنيا. وتحمل تماثيل المجاوبين اسم الميت وتحتوي على نص من "الفصل السادس" من كتاب الموتي يشرح أدوارها: "يا أيها الوشابتي!! إذا طلب فلان هذا لأداء واحدا من الأعمال المرهقة التي تؤدى هناك ... ستقول: أنا موجود" (عيسى، خضر آدم، 1992، 81). احتوت تلك المدافن أيضا على نوع آخر من الوشابتي صنع من الحجارة الصلبة والخزف المزجج ذي اللونين الأزرق والأخضر، وصنعت الوشابتي أحيانا من الخشب أو البرونز. تأخذ تلك التماثيل الصغيرة شكل المومياء كما في مصر ، وهي تحمل أدوات العمل اليومية مثل المنجل(عيسى، خضر آدم، 1992، 82).

كان الملك تهارقا والملك سنكامنسكن الملكين الوحيدين اللذين دفنا في جبانة نوري وزود قبريهما بشوابتي من الحجر تمثل صورة الملك. ومن الأشياء التي انفرد بها سنكامنسكن دون

سواه من الملوك رسم ثعبانين (Double Urari) على الأوشابتي بدلا من ثعبان واحد(دفع الله، سامية بشير، 2005، 93).

ختاما يمكن القول أن المخلفات الأثرية لأصحاب حضارة نبتة تدل على أن أهلها قد تأثروا إلى حد كبير بالحضارة المصرية فأضحى الكثير من مفاهيم حضارتهم ذا طابع مصري، فإلى جانب اتخاذهم اللغة المصرية لغة رسمية، فإن مقابرهم اتخذت الشكل الهرمي الذي كان معروفا في مصر منذ أيام الدولة القديمة، مع اختلاف في الحجم والتصميم فرضته طبيعة العصر، والمادة الحجرية المتوفرة محليا من الحجر الرملي السهل التفتيت، وقد زينوا غرفهم بالمناظر الجنائزية والنصوص الدينية التي عرفتها مصر طوال عصورها القديمة(بكر، محمد إبراهيم، 1998، 162).

استعار ملوك كوش عادات جنائزية أخرى من مصر القديمة، من شاكلة التحنيط وبعض قطع الأثاث الجنائزي مثل الجرار الكانوبية إلى جانب تماثيل المجيبين (أوشابتي)، وغير ذلك من مظاهر التأثر بالحضارة المصرية القديمة، بما يتسق مع دعاوي وحدة القطرين التي تمسك بها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وبعض ملوك نبتة، وتمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم المحلية ومزاوجتها بما تم جلبه من الحضارة المصرية بمسحة محلية جعلت أن الموروثات الوافدة تندمج مع الموروث المحلي حتى لا يجد الباحث أي صعوبة في إثباتها أو نسبتها للموروث الثقافي المحلي.

صفوة القول أن الملك تهارقا أحد الملوك الكوشيين الذي تفرد بمبناه الجنائزي حيث تم بناء هرم صغير له، تم تكبيره لاحقا حتى يكون وعظمة هذا الملك، إضافة إلى غرفة الدفن الفريدة والتي خطط لها بصورة معمارية بديعة قسمتها الأعمدة إلى أجزاء، هذا بالإضافة إلى ارتباط هرمه بالجزء المنفصل في جبل البركل على الضفة الأخرى للنيل وارتباطه الوثيق به.

الخاتمة:

من خلال هذا العرض، وبعد دراسة لجبانة نوري من حيث الترتيب الزمني كجبانة ملكية في سلسلة الجبانات الكوشية الملكية والتي اتخذها الملك تهارقا مكانا لدفنه توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات نجملها في الآتي:

أولا – النتائج:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. قام الملك تهارقا بنقل الدفن من جبانة الكرو الملكية إلى جبانة نوري، ورغم عن ذلك دفن سلفه الملك تانوت أمني بجبانة الكرو الملكية، ولكن الملك أتلانيرسا ومن أتى بعده من الملوك دفنوا بجبانة نوري الملكية.
2. شيد الملك تهارقا هرمه في البداية بحجم صغير وقام بزيادته لاحقا حتى أصبح من أكبر الأهرامات بمملكة كوش.
3. خطط غرفة الدفن بصورة فريدة لم تكن تشبه المدافن التي سبقته، ولا الملوك الذين أتوا بعده، فهذا جعلها من الأشياء التي تميز بها هذا الملك في البنى المعمارية.
4. اختيار الملك تهارقا لجبانة نوري بدلا عن جبانة الكرو الملكية له ارتباط وثيق بمعبد جبل البركل، وهذا يقودنا إلى معرفة الكوشيين بعلم الفلك للارتباط الجزء المنفصل من معبد البركل برأس هرم الملك تهارقا.
5. نسب للملك تهارقا مدفن تم العثور عليه في منطقة صادنقا، بعد أن وجد المنقب إحدى الحجارة التي كتب فيها اسم الملك تهارقا، ومن غير تردد نسب هذا المدفن له، ولكن الدراسات التالية أكدت أنه دفن بهرمه بجبانة نوري.
6. كانت العادات والتقاليد الجنازية حاضرة بكثافة في مدفن الملك تهارقا، منها ما ينسب للعادات المصرية القديمة، ومنها ما هو محلي.

ثانيا – التوصيات والمقترحات:

1. نقترح دراسة جبانة نوري من حيث الوظيفة الدينية الجنائزية ومن حيث التخطيط المعماري للمدافن الملكية.
2. كما أوصي بدراسة مدافن الملوك الذين دفنوا بجبانة نوري كل على حدا حتى نتعرف على القيمة الحضارية لهذه المدافن ودور كل ملك في تهيئة مقره الأبدي.

3. من خلال الأثاث الجنائزي الثمين يمكننا معرفة الحالة الاقتصادية والعلاقات التجارية المتبادلة مع كوش وجارتها في الشمال من حيث وجود بعض الأواني والأدوات كأثاث جنائزي في مدافن الملوك بجبانة نوري.

المصادر والمراجع:

أولا – المراجع باللغة العربية:

1. آدمز، وليام ى (2005) النوبة رواق أفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، ط2، دار الفاطيما، القاهرة – مصر.
2. بكر، محمد إبراهيم (1968) المدخل لتاريخ السودان القديم، المطبعة الفنية الحديثة، مصر.
3. بكر، محمد إبراهيم (1998) تاريخ السودان القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر.
4. حاج الزاكي، عمر (2006) مملكة مروى التاريخ والحضارة، ط1، منشورات وحدة تنفيذ السدود، إصدارة رقم (7)، مطابع الصالحانى، دمشق – سوريا.
5. حسن، سليم (1956) مصر الفرعونية، ج11، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة – مصر.
6. دفع الله، سامية بشير (2005) تاريخ مملكة كوش، ط1، دار الأشقاء للطباعة والنشر، الخرطوم بحري – السودان.
7. عبد الجبار، نعمات عمر (2002) حضارة كوش (نبتة ومروي) بين المحلية والمؤثرات الخارجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، الخرطوم – السودان.
8. عبد الغنى، عبد العزيز (1971) أصول الحضارات، الكتاب الأول، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان، والدار السودانية للكتب، الخرطوم – السودان.
9. عيسى، خضر آدم (1992) الأثاث والعادات الجنائزية الكوشية في العصر المروي، ترجمة محمد أحمد ضي النور، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، وحدة الترجمة والتعريب 2002م، الخرطوم، السودان.
10. قسم السيد، على أحمد (2018) الأهمية الأثرية والتاريخية لجبانة الكرو الملكية، ترجمة سارة حسن محمد إسماعيل البيلي، دار جامعة للطباعة والنشر، الخرطوم – السودان.

11. كاتسنلسون، أيسيدور (2003) "البحث الآثاري في النوبة الشمالية والسودان" مجلة الآثار السودانية ، العدد الأول، أغسطس 2001م ، ترجمة أسامة عبد الرحمن النور ، http://www.arkamani.org

12. كندال، تيموثي (1998) "ملوك الجبل المقدس : نباتا وأسرة الكوشيين" في معرض السودان ممالك على النيل ، إشراف دييتريش فيلدونغ ، ترجمة بدر الدين عروكي ، معهد العالم العربي، باريس – فرنسا.

13. كندال، تيموثي (د.ت) "مملكة كوش" في معرض النوبة ممالك السودان في النيل، مؤسسة لاكيشا ، مدريد –أسبانيا.

14. محمد الحسن، الحسن أحمد (2007) آثار الملك تهارقا في وادي النيل (690–664ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، الخرطوم – السودان.

ثانيا – المراجع باللغة الأجنبية:

15. Arkell. A.J., 1961. A History of the Sudan from the Earliest Time to 1821. Second Edition. London.

16. Dunham. D. and Macadam., 1949: "Names and Relationship of the Royal Family of Napata", JEA. Vol. 35, London, Pp.137-150.

17. Dunham. D., 1947: "Outline of the Ancient History of the Sudan". SNR. Vol. 28. Khartoum, Pp 1-10.

18. Dunham. D., 1955: Royal Cemetery of Kush. Nuri. vol. 2. Boston.

19. Giorgini. Schiff. 1965: Premiere Campane de Fouilles a Sedenga, 1963-1964. Kush, Vol. 13, P.129.

20. Hakem. A.M.A., 1988: Meroitic Architecture A Background of An African Civilization, Khartoum University Press.

21. Kendall. T., 2006: Why Did Taharqo Build his Tomb at Nuri? An unpublished Paper Presented in the 11th Conference of Nubian Studies, Warsaw.

22. Leclant. J., 1984: Taharqa A Sadeinga, In: Studien Zu Sprache Agyptens, Wolthart Westendof Gottingen.P.114.

23. Reisner. G.A., 1918: "Known and Unknown Kings of Ethiopia" Museum of Fine Arts Bulletin, vol. 97, Pp. 67-81.

24. Reisner. G.A., 1918: "Preliminary Report on the Harvard-Boston Excavation at Nuri; The Kings of Ethiopia After Tirhaqa", Harvard African Studies, Veria Africana, vol.2, Pp. 1-64.
25. Reisner. G.A., 1923: "The Meroitic Kingdom of Ethiopia Chronological Outline" JEA. vol. 4. London. Pp. 34-77.